# مصر بين عهدين
## سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية

تأليف
دكتور / عبد المنعم سلطان
استاذ التاريخ الاسلامى المساعد
كلية الاداب بسوهاج ـ جامعة اسيوط

ساهمت مصر الاسلاميه بنصيب وافر فى الاحداث التى مر بها الدولة العربية شأنها شان الولايات التى دخلت فى دائرة الاسلام شرقا وغربا ، وكان لعرب مصر دور ايجابى فى ترجمة الاحداث والتاثير عليها فى عاصمة الخلافة الرائدة والدولة الاموية عندما كانت تنشب النزاعات الكبرى حول مصير الخلافه الاسلاميه . فكان للفرق الاسلامية فى المشرق مؤيدوها ومعارضوها فى مصر . تلك الفرق التى كان يحركها غالبا التعصب القبلى والرغبة فى تحقيق السياده القبلية (١) التى شجبها الاسلام ، وتوارت مظاهرها الى حد كبير فى عهد الرسول عليه السلام وخليفته من بعده ، وكانت احيانا تعبر عن الاستياء من سيطرة قريش وانفه من الخضوع لسلطانها (٢) .

والدور الذى لعبته مصر فى الاحداث الجسام التى انتهت بقتل الخليفه عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ (٣) غنى عن البيان ، فقد انقسم الناس فى مصر بين مؤيدين لعثمان ومطالبين بدمه ومؤيدين لعلى بن ابى طالب واحقيته فى الخلافة الاسلامية وبينما كان النزاع محتدما فى المشرق الاسلامى بين على بن ابى طالب ومعارضيه من العثمانية ، فان النزاع بين العلوية والعثمانيه كان على اشده فى مصر . هذا النزاع الذى اسفر فى هذه الفتره عن انتصار العثمانية ودخول عمرو بن العاص واليا على مصر من قبل معاوية بن ابى سفيان فى ربيع الاول سنة ٣٨ هـ (٤) لتصبح مصر منذ هذا التاريخ ولاية تابعة لمعاوية . وظهر على مسرح الاحداث فى تلك الفترة فى العالم الاسلامى ثلاث فرق رئيسية ، هى الشيعه والخوارج والامويون او العثمانيون ، وكان لهذه الفرق انصار فى مصر ، وان اختلفت قوة كل فريق منهم ومدى تاثيره ويعبر المقريزى عن ذلك بقوله "... فصار اهل مصر حينئذ ن ثلاث طوائف : علوية وعثمانيه وخوارج "(٥)

---

(١) راجع : ابن خلدون ، ج ٢ ، ص١٣٨ ، (القاهره : ١٢٨٤ هـ)
(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ج ٥ ، ص ٦٦ .
(٣) راجع: الكندرى ، الولاة ، ص ١٥-١٧ النويرى ، نهاية الارب ، ج ٩ ، ص ٤٧٩
(٤) خطط المقريزى ، ج ٢ ، ص ٣٣٦-٣٣٧ (طبعة بولاق)
(٥) خطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

وعندما دعا عبدالله بن الزبير لنفسه بالخلافة سنة ٦٣ هـ وقوى مركـــزه بعد وفاة يزيد بن معاويه (١) نشطت فرقة الخوارج فى مصر وايدت عبدالله بن الزبير ، الذى ارسل واليا من قبله على مصر هو عبدالرحمن بن جحدم (٢) واصبحت مصر تابعه لابن الزبير ولكن انصار بنى امية فى مصر راسلوا مروان بـــن الحكم (٣) بعد مبايعته بالخلافة سنة ٦٤هـ (٤) فصارت مصر معه فى الباطن ، وفى الظاهر لابن الزبير (٥) ، ويحسم مروان الامر بان يحضر بنفسه الى مصر على راس قوات كبيرة وصحبته ابنه عبدالعزيز ويتمكن بعد معارك عنيفه من التصالح مع عبدالرحمن بن جحدم ، ويسلم ولاية مصر الى ابنه عبدالعزيز فـــى اول رجب سنة ٦٥هـ (٦) ويعلق المقريزى على هذا الامر بقوله: " ومن حينئذ ن غلبت العثمانية بمصر ، وانكفت السنة العلوية والخوارج " (٧) ، ففى هـــذه المرحلة اصبحت الغلبة للحزب الاموى وانصاره ، اما الشيعه والخوارج فقـــد ضعف شانها الى حد ما وهكذا يتضح ان مصر لم تكن بمعزل عن احـــداث الدولة العربية فى المشرق ، بل كان لها دورها الايجابى والمؤثر فـــى ان الاحداث الجسام التى كانت تقع هناك ، كانت تجد صداقها فى مصر وموضـــوع هذا البحث هو احد حلقات الصراع العنيف بين القبائل العربية من اجـــل السيادة والوصول الى ارفع مناصب الدولة وهى الخلافة الاسلامية واعنى هنـــا النزاع بين الامويين والعباسيين الذى انتهت احداثه الدامية بسقوط الدولـــة الاموية وقيام الدولة العباسية ، وكانت ارض مصر هى المسرح الذى جـــرى عليه الفصل الاخير من هذا النزاع ، والتى اسدل الستار عليه بعد قتل مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين .

---

(١) ٦٠ـ٦٤هـ/ ٦٨٠ـ٦٨٣م

(٢) استمر ابن جحدم على ولاية مصر ( ١ من شعبان سنة ٦٤هـ ـ غرة جمادى الاولى سنة ٦٥هـ) .

(٣) (٦٤ـ٦٥ هـ / ٦٨٣ـ٦٨٥م)

(٤) المسعودى مروج الذهب ، ص ٩٤ .

(٥) ابو المحاسن ، النجوم ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٦) راجع : الكندى ، الولاة ، ص ٤٠ـ٤٥ ، النجوم ج١ ص١٦٦ .

(٧) خطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .

والمعروف ان الدولة الاموية كانت دولة عربية تتعصب للعنصر العربي وتعتمد عليه فى شغل مناصب الدولة العليا السياسية والعسكرية والادارية ، وقد وضح هذا التعصب فى علاقة الامويين باهل البلاد المفتوحة وعدم مساواتهم بالعرب(١) ونزعوا منهم حتى تلك الوظائف المالية التى كانت حكرا عليهم بالحركة المعروفة بحركة تعريب الدواوين التى بدأت فى الشام سنة ٨١هـ(٢) فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان(٣) .

وهناك عصبية اخرى كان لها دور خطير فى العصر الاموى وهى العصبية القبليه ورغم ان العصبية القبلية اضيق نطاقا من العصبية العربية الا انها كانت اكثر خطورة على الدولة الاموية لانها فتحت الطريق امام العرب ليحاربوا بعضهم بعضا .

وقد ظهر هذا جليا فى التزاع بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب او القيسية واليمنيه فى العصر الاموى ،ولا يهمنا هنا ان نتتبع مراحل الصراع بين العصبتين ولكن تجدر الاشاره الى ان هذا الصراع اصبح قويا مؤثرا فى عهد اخر خلفاء الدولة الاموية مروان بن محمد ،فيروى المسعودى شرحا لذلك فى قوله: " وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار ، وادلى كل فريق بماله من المناقب ،وتحزبت الناس وثارت العصبية فى البدو والحضر ، فنتج من ذلك امر مروان بن محمد الجعدى ، وتعصبه لقومه من نزار وانحراف اليمن الى الدعوة العباسية "(٤) .

وتكاد المصادر التى بين ايدينا تغفل بداية ظهور الدعوة العباسية فى مصر ومدى انتشارها(٥) . ولكن من البديهى ان العباسيين اثناء مراحل دعوتهم للوصول الى الخلافة لم يغفلوا امر مصر . ويبدو ان بعض الدعاة العباسيين تمكنوا من التسلسل الى مصر فى فترة الدعوة السرية التى تمتد من مطلع القرن الثانى الهجرى حتى بداية عهد مروان بن محمد (١٢٧هـ)(٦) فنجد اشارة

---

(١) احمد امين ،ضحى الاسلام ،ج ١ ،ص ٢٣ ، القاهرة ١٩٧٧ .
(٢) الماوردى ،الاحكام السلطانية ث ٣٢٩ـ٣٢٠ (القاهرة: ١٩٧٨)
(٣) (٦٥ـ٨٦هـ / ٦٨٥ـ٧٠٥م)
(٤) المسعودى ،مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٤
(٥) راجع: سيدة الكاشف ،مصر فى فجر الاسلام ، ص١٣٧ ،القاهرة ١٩٤٧
(٦) ابن طباطبا ،الفخرى ، ص ١٤٤ ، ١٩٦٦

عند ابى المحاسن تفيد ان عبد الرحمن بن خالد بن مسافر امير مصر [1] لهشام بن عبد المطلب بن مروان [2] عزل عن منصبه " وقيل : ان سبب عزله عن مصر ان دعاة بنى العباس ارسلوا اليه سرا فاكرمهم ووعدهم فبلغ ذلك هشاما فعزله [3] .

وتثور المشاكل فى وجه مروان بن محمد فى مصر بمجرد توليه الخلافة وكان واليه على مصر فى ذلك الوقت حفص بن الوليد الحضرمى الذى ماكاد يعلم بتولية مروان للخلافة بعد موقفه المعروف من اليمنيه وعدائه لهم حتى انه اتخذ من مدينه حران عاصمة اقليم الجزيرة ومركز تجمع القيسية مركزا له [4] فارسل اليه حفص يستعفيه من ولايته على مصر فاعفاه مروان [5] وولى مكانه حسان بن عتاهيه على الصلاة وعيسى بن ابى عطاء على الخراج ، ويروى الكندى ان حفص بن الوليد اثناء ولايته على مصر كان قد فرض الفروض للجند ، وجعل على فروضه قوادا وسماهم " اصحاب الندبة " [6] وعين على انحاء مصر انصاره من اليمنيه ، فجعل على الصعيد رجاء بن الاشيم وعلى اسفل الارض فهد بن مهدى الحضرمى [7] ونحن لانشك فى ان معظم فرق الجيش التى شكلها وفوض لها الفروض من اليمنيه كذلك وكان يطلق عليها " الحفصيه " نسبة اليه [8] فما كان من حسان بن عتاهيه القيسى ليقبل سيطرة اليمنيه فى مصر كما كانت فى عهد سلفه ، لذلك ماكاد يستقر فى مصر حتى " اسقط الفروض التى كان قررها حفص بن الوليد فى ولايته وقطع فروض الجند كلها " [9] وكان نتيجة لهذا القرار ان ثار قواد الجند ضد حسان بن عتاهيه وحاصروه فى داره وارغموه على مغادرة مصر هو وصاحب الخراج واصروا على اعادة حفص بن الوليد واليا على مصر ، وهنا تجدر الاشاره الى ان حفصا لم يكن موافقا على هذا التصرف من جانب زعماء الجند حتى انه اختفى عنهم هربا من المشاركة فى الفتنه [10] والتعليل المقبول لموقفه انه ماكان يرغب منذ البدايه

---

(١) (١١٧ـ١١٩هـ/ ٧٣٥ـ٧٣٧م)
(٢) (١٠٥ـ١٢٥هـ/ ٧٢٤ـ٧٤٣م)
(٣) النجوم ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
(٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .
(٥) الكندى ، الولاة ، ص ٨٤
(٦) اى سريعى الاستجابة عند دعوتهم الى القتال (لسان العرب ، مادة ندب)
(٧) الكندى ، الولاه ، ص ٨٤
(٨) المصدر السابق
(٩) النجوم ، ج ١ ، ص ٢٠١

ان يكون واليا لمروان بن محمد والا ماطلب اعفاءه من منصبه ، ولكن يبدو من النصوص انه ارغم على ان يكون طرفا فى هذا النزاع فعبارة الكندى تقول : " ثم وليها حفص بن الوليد كرها ، واخذوه قواد الفروض بذاك " (١) .

وكانت ثورة اليمنيه بقيادة ثابت بن نعيم الجذامى قد اشتعلت فى الشام فى تلك الفترة ضد مروان بن محمد ، وارسل ثابت الرسل والكتب الى اليمنيه فى الولايات (٢) وكتب ثابت بن نعيم كتابا ارسله مع وفد من اليمنيه على راسهم عبد العزيز بن سماك الجذامى الى حفص بن الوليد فى مصر يحرضونه على خلع مروان بن محمد ، وخطب هؤلاء اليمنيه فى مسجد عمرو الفسطاط يشيرون الناس ضد الخليفه ، كما ارسل زامل بن عمرو الثائر ضد مروان بحمص رسولا لنفس الغرض (٣) .

وكانت العناصر الموالية لمروان بن محمد فى ذلك الوقت فى مصر من الضعف بحيث لاتستطيع التصدى لهذا التيار القوى المعادى للامويين ولم يظهر الا صوت احتجاج ضعيف من جانب يزيد بن ابى اميه المعافرى ، الذى اخذ على الثوار افسادهم للجند ودعوتهم للفتنه (٤) .

هكذا تحركت العناصر القبلية المناوئه للخلافة الاموية فى اقاليم الدولة فى وقت واحد وخلعت طاعه مروان بن محمد واصبح حفص بن الوليد واليا على مصر من قبل الثوار رغم ارادته ورغم ارادة الخليفة فى نفس الوقت .

وفى هذه الاثناء قدم على مصر حنظلة بن صفوان الكلبى فارا من افريقية بعد ان اشتعلت الثورة ضده هناك (٥) فنزل حنظلة الجيزة ، فكتب مروان الى اهل مصر : " اما اذا ابيتم ولاية حسان ، فقد امرت عليكم حنظلة بن صفوان ، فامتنع المصريون واظهروا الخلع .. " (٦) وقاد رجاء بن الاشيم جيشا الى حنظلة وحاربه واجبره على الخروج من الجيزة الى الحوف الشرقى ، ومنعه من دخول

(١) المصدر السابق والصفحه
(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٩ ، ص ٥٥ ( حوادث سنة ١٢٧ هـ)
(٣) راجع : الكندى ، الولاه ص ٨٥ ، ٨٦
(٤) المصدر السابق والصفحات
(٥) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب فى اخبار المغرب ، جـ ١ ص ٦٥ — ٦٦ بيروت ١٩٥٠
(٦) الكندى ، الولاه ، ص ٨٧

الفسطاط[١] ورغم ان حنظلة بن صفوان من قبيلة كلب اليمنيه ، فلعل مروان بتعيينه على مصر فى هذه الظروف كان راغبا فى تهدئه النفوس وامتصاص حدة الثورة ، الا ان زعماء مصر كانوا قد خلعوا طاعة الخليفة ولم يستجيبوا لاوامره .

وتمكن مروان بن محمد من التصدى لاعدائه من اليمنيه فى الشام فاوقع الهزيمه بالثوار فى مدينه حمص ، وهزم اهل غوطة دمشق وحرق المزة فى قرى اليمنيه وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين حتى اتى مدينه طبرية[٢] ، ثم اتجه الى مصر رغبة فى الاحتماء بها والتقوى بمن بها من اليمنيه ولكن خاب ظنه ، فيروى روايه تؤكد ماسبق ان ذهبنا اليه من ان حفص بن الوليد ماكان يرغب فى معاداة مروان بن محمد او يكون ظرفا فى الفتنه المشتعلة ضده ، فتذكر الرواية " .. وهرب ثابت ابن نعيم من فلسطين يريد مصر ، فبعث اليه حفص بشرجيبا ، ابن قليب الحجرى ، وخرج اليه ربان بن عبد العزيز بن مروان بمنى اميه ، وجمع ربان جمعا من قيس فقاتلوا ثابتا فهزموه" [٣] .

وبعد ان تخلص مروان من ثوار الشام بدأ يوجه جهوده لاستعادة سيطرته على مصر ، فعزل حفص بن الوليد عن ولايتها ، وعين مكانه حوثرة ابن سهيل الباهلى [٤] من القيسيه [٥] وامده بسبعه الاف فارس حتى يمكنه التصدى لليمنيه عند الضرورة وارسل حوثرة قبله ابا الجراح الجرشى فقدمها فى ٢ محرم سنة ١٢٨ هـ[٦] ، وحاول زعماء اليمنيه فى مصر ان يحرضوا حفص ابن الوليد على التمسك بالولاية وعدم تنفيذ اوامر الخليفة مروان بعزله ، ومنع واليه من دخول مصر ، ولكن حفصا كانت له سياسة واضحة فى هذا الشأن كما سبق ان اوضحنا . فاذا كان قد ارغم على الخروج على مروان فيما مضى . فانه امر هذه المرة على الاستحابه لقرار عزله ، وسلم مابيده الى ابى الجراح الجرسى ، الذى ختم على الدواوين وبيت المال ولبث فى انتظار قدوم حوثره وادرك اليمنيه انهم لن يستطيعوا الصمود فى وجه حوثره ، فالتقوا به فى

---

(١) النجوم ، ج ١ ص ٣٠٢
(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٩ ص ٥٥ ( حوادث سنه ١٢٧ هـ )
(٣) الكندى ، الولاية ، ص ٨٧
(٤) ( ١٢٨ـ١٣١هـ / ٧٤٥ـ٧٤٨م )
(٥) ابوبكر محمد الهمدانى ، عجالة المبتدى فى النسب ص ٢٢ القاهره ١٩٧٣
(٦) الكندى ، الولاة ، ٨٨

العريش ،وطلبوا منه الامان على ماأحدثوا ، فاجابهم حوثره الى طلبهم ، وكتب لهم كتابا بذلك ، ولكن هذا الامان كان مجرد خديعه من جانب حوثره لدفع اليمنيه الى الاطمئنان وعدم الحيطة فعندما دخل حوثرة الفسطاط دون قتال فى ١٢ محرم سنة ١٢٨ هـ ، خرج لاستقباله حفص بن الوليد ومعه زعماء الجند فقبض عليهم حوثرة وقيدهم (١) وارسل فى طلب من تخلف من زعماء الفتنه ضد مروان ومؤيديهم او عامتهم على حد تعبير الكندى فقبض عليهم وضرب اعناقهم (٢) فى ١٨ محرم سنة ١٢٨هـ ، ورغم سياسة حفص بن الوليد المعتدله لم يسلم من القتل على يد حوثرة فى ٣ شوال سنة ١٢٨ هـ (٣) . وتتبع حوثرة اليمنيه فى مصر وقتل من وقع فى يده حتى انه قضى على اسر بكاملها . ولما هم بقتل القاضى حير بن نعيم ، حذره صاحب شرطته حسان بن عتاهيه من خطورة ذلك وقال له: " لم يبق لحضرموت الا هذا القرن فان قطعته قطعتها " فاكتفى حوثره بعزله عن القضاء " (٤) .

ولم ينس حوثرة ان يكافىء انصار مروان بن محمد فى مصر والذين كانوا يكاتبونه وفى مقدمتهم زيد بن ابى اميه المعافرى الذى عارض الثورة ضد مروان ابن محمد ، وموالى بنى امية بقيادة زيان بن عبد العزيز بن مروان ،كما كافأ القيسية وفرض لهم الفروض (٥) وعقد حوثرة لزيان على قيادة الجند فى مصر وارسله على راس جيش الى العريش فى اعقاب ثابت بن نعيم الذى منى بالهزيمه ووقع فى الاسر وبعثه زيان الى مروان بن محمد حيث قتله فى جمع من بنيه وانصاره (٦) .

استقرت الاحوال فى مصر بعد هذه الاحداث الى حين ،الا من ظهور بعض المؤيدين لعبد الله بن يحيى طالب الحق (٧) الخارجى الذى قدم دعاته

---

(١) النجوم ، ج ١ ، ص ٣٠٥
(٢) الكندى ، الولاه ص ٩٠
(٣) المصدر السابق ،ص ٩١
(٤) الكندى ، القضاه ، ص ٣٥٢ .
(٥) الكندى ، الولاه ، ص ٩١ ، النجوم ص ٣٠٣
(٦) تاريخ الطبرى ، ج ٩ ، ص ٥٥
(٧) من الخوارج الاباضية الذين شاروا على مروان بن محمد واتخذوا من صنعاء مقرا لهم وقدمت جيوشهم الى مكة والمدينه فى موسم الحج سنة ١٢٩ هـ ، وقامت بينهم وبين جيوش مروان معارك انتهت بهزيمتهم وقتل زعيمهم طالب الحق هذا سنة ١٣٠هـ

الى مصر فبايع له بعض المصريين ونفر من قبيلة تجيب ، وكشف امرهم حسان بن عتاهيه صاحب الشرطة فقبض عليهم وقتلهم (١) وكانت هذه الحركة امتداد الصراع الخوارج فى المشرق وخاصة فى اليمن ضد مروان بن محمد .

ولما توالت الهزائم على مروان بن محمد فى المشرق امام العباسيين اضطر الى عزل حوثرة بن سهيل عن مصر ليساعده فى قتاله ضد العباسيين . فخرج حوثره من مصر فى رجب سنة ١٣١هـ وبصحبته عشرة الاف من قيس (٢) ولكنه لم يتمكن من الصمود فى وجه الزحف العباسى ، وتتوالى الاحداث سريعة متلاحقة وكان على ولاية مصر ابتداء من جمادى الاخره سنة ١٣٢هـ ـ وهى السنة الحاسمة فى تاريخ الصراع بين الامويين والعباسيين ـ عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ، وتضطرب مصر بالثورة من اقصاها الى ادناها .

ففى بداية ولايه عبد الملك بن مروان على مصر تحدثنا المصادر عن ثورة فى الحوف الشرقى يتزعمها احد افراد البيت الاموى وهو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان بتاييد من القيسية بزعامة الدماحى بن عبد العزيز الكنانى (٣) وهذه الثورة مؤشر واضح على فساد امر الدولة الاموية وانفراط عقدها ، فها هو احد افراد البيت الاموى يدعو لنفسه بالخلافة فى مصر وتؤيده القيسية تلك العصبية التى يعتمد عليها مروان بن محمد (٤) فبعث اليهم والى مصر سبعة الاف فارس فالتقوا فى بلبيس ولكنه لم يحدث قتال ، وتفاوض الطرفان على الصلح على ان يخرج عمرو بن سهيل والدماحى الى اى مكان يرغبانه (٥) " .. وبينما هم فى ذلك اذ قدم عليهم الخليفه

---

(١) الكندى ، الولاه ، ص ٩٢ .
(٢) النجوم ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣
(٣) الكندى ، الولاه ، ص ٩٤
(٤) اضطرب امر مروان بن محمد بعد هزيمته فى الزاب (١١ جمادى الاخره ١٣٢هـ) حتى ان اعوانه وولاة الاقاليم كانوا يثبون على مؤاخرة جيشه ينتهبون عسكره ، وعند ما مر بدمشق هاجمه احد افراد البيت الاموى وهو الوليد بن معاوية وكان عامله على دمشق ، وادرك مروان بعد فوات الوقت الخطأ الذى وقع فيه بتعصبه للقيسيه ضد اليمنيه ، وعبر عن ذلك بقوله " انفرجت عنى قيس انفراج الراس ما تبعنى منهم احد ، وذلك اناوضعنا الامر فى غير موضعه " ( راجع : ابن قتيبه الامامه ج ٢ ، ص ١١٧ ، المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١
(٥) الكندى ، الولاه ، ص ١٩٤

مروان الحصار من ارض الشام وقد انهزم من ابى مسلم الخراسانى ، صاحب دعوة بنى العباس" (١) .

ويبدو لنا من استقراء النصوص التاريخيه ، وتتبع الاحداث السابقة ان العرب فى مصر كانوا دائما على صلة باحداث المشرق الاسلامى ، فكانت التجمعات القبلية بعصبيتها او ميولها المذهبية لها وزنها فى التاثير على مايجرى فى عاصمة الخلافة الاسلاميه ، اما هل مصر سواء منهم من اسلم ، او ظل على دينه فانها لاتلمح لهم اى تاثير على مايجرى داخل ، ارضهم او خارجها ، ولكن على العكس من ذلك فان هذه الفترة التى نحن بصدد دراستها نجد اقباط مصر يقومون بدور خطير فى تاييد العباسيين ضد الامويين (٢) مما قد يوحى بانها كانت ثورة عامة من جانب العناصر غير العربية ضد الدولة العربية فرغم ان قيادة الثورة ضد الامويين كانت بيد العباسيين الهاشميين ، الا ان وقود هذه الثورة كانت من الفرس الخرسانية ، وامتد اللهيب الى مثر لتأججه العناصر القبطية وتساهم فيه بنصيب .

وتشير المصادر ان ثورة القبط فى ضد الحكم الاموى قد صاحبت بداية ولاية عبد العزيز بن مروان او هزيمة مروان بن محمد عند نهر الزاب وكلاهما حدث فى جمادى الاخره سنة ١٣٢هـ . واستمرت هذه الثورة حتى قتل مروان بن محمد فى اواخر ذى الحجة من نفس العام .

ونلاحظ ان المصادر العربية التى بين ايدينا تتناول هذه الثورة باقتضاب فنقرأ عن ثورة للقبط فى سمنود فارسل اليهم عبد العزيز بن مروان جيشا قضى عليها (٣) وقامت ثورة اخرى بعد دخول مروان الى مصر فى اواخر شوال سنة ١٣٢هـ فبعث اليهم مروان جيشا فهزمهم (٤) .

---

(١) النجوم ، ج ١ ، ص ٣١٦ .
(٢) سيدة الكاشف ، المرجع السابق ، ص ١٣٨
(٣) الكندى : الولاه ، ص ٩٤ ، خطط المقريزى ، ج ١ ، ص ٧٩ ، النجوم ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
(٤) الكندى ، الولاه ، ص ٩٦ ، خطط المقريزى ج ١ ، ص ٧٩ ، النجوم ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

ولكن الرواية الصحيحه التى اوردها ساويرس بن المقفع اكثر تفصيلا حيث يذكر ان ثورة للقبط اشتعلت فى مصر تركزت فى منطقة الدلتا تسمى البشمور بالقرب من رشيد كما ذكرت المصادر العربية وشاركهم ايضا اهل الصعيد باسيوط (١) وامتنع اهل هذه البلاد من دفع الخراج لوالى مصر ضد الملك بن مروان الذى حاول ان يقضى على هذه الثورة قبل مجىء مروان بن محمد الى مصر ولكنه فشل فى ذلك ، ولما وصل مروان الى مصر مطاردا من العباسيين ، علم بامر هذه الثورة ويبدو ان الخطر الاكبر كان فى ثورة اهل البشمور وكان مروان يرغب فى التفرغ لمتابعه الاخرى مع العباسيين ومع الثورات التى نشبت ضده وخلعت طاعته فى جميع اقاليم مصر ، لذلك نجده يحاول مهادنة القبط ، فكتب اليهم كتبا يمنحهم الامان (٢) فلم يستجيبوا له ويبدو انهم كانوا متحصنين فى مناطق من الصعب اختراقها من جانب المسلمين ، فلما حاول مروان تاديبهم بارسال قوات للقضاء على ثورتهم منيت هذه القوات بالهزيمه ، وحسب رواية ابن المقفع : "... فلم يقدر العساكر يصل اليهم بالجملة لانهم تحصنوا فى مواقع الوحلات التى لايقدر يصل اليها سوى رجل رجل ، فاذا زلت رجله غطى فى اللوق وهلك .. وكان العساكر يحرسونهم من البر فيخرج لهم البشامره فى الليه ليتلصصوا عليهم ويقتلوا من قدروا على قتله ويسرقوا اموالهم وخيلهم فيطول عليهم الامر فيرحلوا عنهم" (٣).

وفى نفس الوقت كانت اجناد مصر قد اعلنت خلع مروان بن محمد وتاييدها للدعوه العباسية ، ففى الحوف الشرقى قاد شرحبيل مذيلفه الكلبى حركة الانضمام الى العباسيين (٤) وفى الاسكندرية اعلن الاسود بن نافع الفهرى - من نسل عقبة بن نافع - تبعيته للدولة العباسية واظهر السواد شعار العباسيين وسود عبد الاعلى بن سعيد بصعيد مصر وسود يحيى بن مسلم باسوان (٥)

---

(١) ساويرس بن المقنع ، سيرة الاباء البطارقة ص ١٩١ (باريس ١٩٠٧)
(٢) المصدر السابق والصفحة
(٣) المصدر السابق ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .
(٤) ابن دقماق ، الانتصار ، ص ٣٩ ( بولاق ١٨٩٣م ) .
(٥) الكندى ، الولاة ، ص ١٥

وكان على مروان ان يقضى على هذه الثورات قبل وصول القوات العباسية التى يعلم انها فى اثره فبعث زبان بن عبد العزيز بن مروان الى الصعيد فالتقى بعبد الاعلى بن سعيد فهزمه وفر عبد الاعلى بحياته ، كما ارسل جيشا الى الاسكندرية بقيادة الكوثر بن الاسود لاخضاع الثورة فيها وحدث اشتباك بالقرب من المدينه انتهى لصالح الكوثر واستولى على الاسكندرية وفر الاسود بن نافع منها (١) وقام الجند المروانيه باعمال السلب والنهب فى المدينه التى تعد العاصمة الكنسية لمصر ، وقبضوا على الانبا ميخائيل بطريرك الاقباط كما قبضوا على بطريرك الملكية (٢) وفرض عليهما الكوثر فديه من المال ليفرج عنهما وتم الافراج عن بطريرك الملكية لدفعه الفديه ، ولم يفرج عن البطريرك القبطى وصحبه معه الى رشيد على امل ان يحمل البشامرة على العدول عن ثورتهم ولكن البشامره هاجموا القوات المحاصرة لهم ولم يخضعوا للتهديد واضطر مروان الى رفع الحصار عن القبط الثائرين عندما علم بقرب وصول القوات العباسية الى مصر حتى يمكنه ان يتقوى بهم على عدوه الرئيسى (٣) كما استدعى مروان ايضا قواته المتحصنه فى الاسكندريه الى الفسطاط (٤) لنفس الغرض.

ويروى ابن المقفع ان وفدا من اقباط مصر من البشامره ذهب لاستقبال القوات العباسية عندما علموا بدخولهم ارض مصر والتقوا بهم عند الفرما وشرحوا لهم الموقف فى المصر وعلاقتهم بمروان وموقفه من البطريرك القبطى المسجون (٥) الذى جعله مروان معه فى حله وترحاله وهو مقيد.

وكان مروان بن محمد قد اتبع سياسة خطيرة منذ دخوله الى ارض مصر تهدف الى تدمير الغلات والمؤن والمدن وكل مايمكن ان يعرقل تقدم القوات العباسية او يحملهم على التراجع فعندما علم مروان وهو بالفرما ان صالح بن على القائد العباسى قد وصل الى العريش " احرق ماكان حوله من علف وطعام

---

(١) المصدر السابق ص ٩٦.

(٢) ويطلق على اتباعه الملكانيه ايضا نسبة الى كلمه "الملك" لاتباعهم لمذهب الامبراطور البيزنطى ومخالفتهم لمذهب الاقباط المصريين حول طبيعه السيد المسيح ( راجع: على ابراهيم حسن ،مصر فى العصور الوسطى ، ص ٣٤ القاهره ١٩٥٤ )

(٣) سيرة الاباء ، ص ١٩٣

(٤) المصدر السابق ص ١٩٤

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩٨.

وهرب" (١) ورأى مروان ان يتحصن بقواته غرب النيل وبدأ فى تنفيذ خطته التى اعتقد انه يمكن عن طريقها ان يمنع تقدم العباسيين ووصولهم اليه واعلن النداء فى الفسطاط بان يغادرها اهلها خلال ثلاثة ايام تمهيدا لحرقها فهرب الناس منها حاملين ماخف حمله من متاعهم (٢) فارين بحياتهم وحرق مروان الفسطاط كما اشعل النار فى دار ال مروان المذهبة حتى لاتقع فى ايدى العباسيين (٣) ، وعبر مروان الى الجيزة بجنده والاته ومراكبه واشعل النار فى الجسرين (٤) اللذين يربطان ضفة النيل الشرقيه بضفته الغربية واستقر مروان فى الجيزة ولما علم بوصول القوات العباسية الى الفرما ارسل فرقا من جيشة الى الضفه الشرقيه للنيل لتدمير مايمكن تدميره من " المدن والكور والكروم والسواقى وكل مايجدون (٥) وظلت هذه الفرق تقوم بعملها حتى وصول القوات العباسية الى الضفة الشرقية للنيل واصطدمت بهذه القوات وهزمتها واسرت بعض افرادها (٦) ،وواضح ان سياسة مروان بن محمد التدميرية قد اشعلت غضب القبط بالاضافة الى موقفه من الانبا ميخائيل (٧) لذلك نجد الاقباط يصطفون على الضفه الشرقيه للنيل بجانب العباسيين (٨) بعد ان اصبح هدف الجانبين هو القضاء على مروان بن محمد وكان العباسيون مكتوفى الايدى ينظرون الى جيوش مروان فى الضفه الغربيه ولايستطيعون العبور اليهم لعدم وصول السفن المصاحبة للقوات العباسية فى تلك الفتره وكانت توجد بعض الاماكن التى يمكن للجند العبور منها

---

(١) تاريخ الطبرى ،ج ٩ ،ص١٣٦ ، (حوادث سنة ١٣٢هـ) .
(٢) سيرة الاباء ،ص ١٩٦ .
(٣) النجوم ،ج ١ ،ص ٣١٦ .
(٤) يروى المقريزى انه كان فيما بين ساحل الفسطاط وجزيرة مصر جسر من خشب وكذلك فيما بين الجزيره وبر الجيزة جسر من خشب يمر عليهما الناس والدواب ،وكان هذان الجسران مصطفه بعضها بجذاء بعض وهى موثقة ومن فوق المراكب اخشاب ممتده فوقها تراب ( خطط ،ج ٢ ص ١٧٠ ) .
راجع ، الولاة ،ص ٩٤ .
(٥) سيرة الاباء ،ص ١٩٦
(٦) تاريخ الطبرى ،ج ٩ ،ص١٣٦
(٧) سيرة الاباء ،ص ١٩٨ .
(٨) عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ص ٥٢ ، القاهره ،١٩٧٠ )

دون سفن ، ولم يكن العباسيين يعلمونها وكان مروان قد وضع عليها حراسة قوية لعلمه بها ، واستغل مروان هذه الظروف وشحن بعض السفن التي معه بالمقاتله ودفعهم الى الضفه الشرقية للنيل ، وهاجم السفن العباسية بمجرد وصولها الى ابى عون قائد القوات العباسية (١) ، ويروى ابن القفع بان مراكب مروان بن محمد كانت محصنه بمادة لاتجعل النار تؤثر فيها مما ممكنه من حرق بعض السفن للعباسيين ومنعهم من العبور (٢) ، واصبح العباسيون فى موقف لايمكنهم من الوصول الى عدوهم عن طريق السفن ، ولكن القبط المصاحبين للجيش العباسى تدخلوا فى هذا الموقف العصيب ودلوا ابا عون على بعض مخاضات لم يكن مروان على علم بها فتمكن العباسيون من العبور خلالها الى الجيزة واندفعوا باعداد ضخمه (٣) وفاجأوا مروان بن محمد " وهجموا على عسكره " وضربوا الطبول وكبروا ونادوا : بالثارات ابراهيم ، فظن من فى عسكر مروان انه قد احاط بهم سائر المسودة " (٤) ودارت معركة فاصلة بين القوات العباسية وقوات مروان بن محمد ، ومن البديهى ان القبط قد شاركوا فى هذه المعركة الى جانب العباسيين على امل انقاذ البطريرك القبطى الذى فى قبضه مروان وتوالت الهزائم على مروان وانتهى الامر بقتله فى قرية بوصير من اعمال الفيوم فى ٢٣ من ذى الحجه سنة ١٣٢هـ وقتل معه جمع كبير من بنى اميه (٥) وارسل برأس مروان بن محمد الى العراق (٦) اعلانا عن زوال الدولة الاموية بقتل اخر خلفائها .

---

(١) ابن قتيبه ، الامامه ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
(٢) سيرة الابا ، ص ١٩٨ .
(٣) ابن قتيبه ، المصدر السابق ، سيرة الابا ، ص ٢٠٢ .
(٤) المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .
(٦) ابن قتيبه ، الامامه ، ج ٢ ، ص ١٢٠

وكان من الطبيعى ان يقوم العباسيون بمكافأة انصارهم فى مصـــــر ، فاطلقوا سراح البطريرك القبطى ، واستجابوا الى طلبة برفع الضرائب عـــن الكنائس فى انحاء البلاد ، وخصوا البشامرة باعفائهم من الخراج ومنحوهم مكافأة مالية (١) كما امر صالح بن على بتخصيص المرتبات للمقاتلة وتوزيع الصدقـات ومنح الاقطاعات السخية لهؤلاء الذين اعلنوا تاييدهم للعباسيين قبل وصولهم الى مصر ، فاقطع شرجبيل بن مذيلفه الكلبى والاسود بن نافع الفهرى ، وعبـــد الاعلى بن سعيد ، اقطاعات واسعه كان بعضها من املاك الاسرة الامويـــة فى مصر (٢) .

كما عرف العباسيون كيف يحافظون على تاييد بعض العناصر المعتدلـه فى مصر رغم انهم كانوا من انصار الامويين ومن الامثلة على ذلك انهم منحـوا الامان لاخر الولاة الامويين على مصر عبد الملك بن مروان لانه "٠٠ لم يفحش فى حق بنى العباسى "(٣) ومنهم ايضا نسل معاوية بن حديج السكونـــى (ت٢٥٠هـ) الذين تولوا مناصب مهمه فى العصر الاموى ويصفهم ابو المحاســـن بانهم " من اكابر المصريين من اعوان بنى اميه " ورغم ذلك فقد منحهـــم العباسون الامان واحنوا اليهم "(٤) .

وفى نفس الوقت فان العباسيين كانوا حريصين على الانتقام من هؤلاء الذين اسرفوا فى القتل فى العصر الاموى ، فقتلوا حوثرة بن سهيل وحسان بن عتاهيه(٥) وطارد العباسيون افراد الاسرة الاموية وانصارهم فى مصر ، وكل من يحاول العطف عليهم وكان مصير من يقع فى ايديهم هو القتل وغالوا فى ذلك حتى ان صالح بـــن على قتل احد رجاله الذين شاركوا فى قتال مروان بن محمد بمصر ، وهو شعبة

---

(١) سيرة الاباء ، ص ٢٠٥ .
(٢) راجع : الكندى ، الولاه ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .
(٣) النجوم ، ج ١ ، ص ٣١٧ .
(٤) النجوم ، ج ٢ ، ص ١٧
(٥) النجوم ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

ابن عثمان التميمى سنة ١٣٣هـ ، لانه تستر على احد الامويين الفارين (١) .

واصبحت مصر منذ دخول صالح بن على الى الفسطاط منتصرا فى ٨ محرم سنة ١٣٣هـ ولاية تابعه للدولة العباسية الناشئة وكان صالح بن على اول الولاة العباسيين لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ مصر الاسلاميه .

---

(١) الكندى ، الولاة ، ص ٩٩ .

## المصادر والمراجع


- احمد امين ، ضحى الاسلام ، ( القاهره ١٩٧٧ ) .
- ابو بكر محمد الهمدانى ، عجالة المهدى فى النسب ( القاهرة ١٩٧٣ ) .
- ابن جرير الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ( الطبعه الاولى ، المطبعه الحسينيه ) .
- جمال الدين ابو المحاسن " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهره (القاهره ١٩٦٣ ) .
- ابن دقماق ( ابراهيم بن محمد المصرى ) ، الانتصار بواسطة عقد الامصار (بولاق ١٨٩٣ )
- ساويرس بن المقفع ، سيرة الاباء ، البطارقة ، باريس ١٩٠٧ .
- سيدة الكاشف ، مصر فى فجر الاسلام ، القاهره ١٩٤٧ .
- ابن طباطبا ( محمد بن على ) ، الفخرى فى الاداب السلطانيه (بيروت ١٩٦٦ ) .
- عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى (القاهره ، ١٩٧٠ )
- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر (القاهره ١٢٨٤هـ )
- ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب فى اخبار المغرب ( بيروت ١٩٥٠ )
- على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، القاهره ١٩٥٤ .
- ابن قتيبه الدينورى ، الامامه والسياسة ، القاهرة ١٩٦٧ .
- الكندى ( ابو عمر محمد بن يوسف ) الولاه والقضاه ( بيروت ١٩٠٨ )
- الماوردى ( ابو الحسن على بن محمد ) الاحكام السلطانيه ( القاهرة ١٩٧٨ ) .
- المقرزى ( تقى الدين احمد بن على ) . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (بولاق ـ ١٢٧٠هـ ) .
- المسعودى ( ابو الحسن على بن الحسين ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهره ١٩٥٨ .
- النويرى ( شهاب الدين احمد ) ، نهاية الارب فى فنون الادب ، ج ١٩ ، القاهره ١٩٧٥ .